للماركسية «الثورية»، على المستوى العالمي، تمثّلت في انتصارات الفيتكونغ في فيتنام، ودويّ الثورة الثقافية في الصين، وتصاعد موجة اليسار «الجيفاري» في اميركا اللاتينية (التوباماروس وغيرها)، ونهوض حركات اليسار الجديد في اوروبا. وكان معظم هذه الحركات لا يتفق، في ماركسيته، مع الماركسية السوفياتية، بل لعلّ أغلبها تشكّل كبديل من الاحزاب الشيوعية الموالية لموسكو.

لقد تأثر فكر اليسار الفلسطيني بماركسية هذه الحركات جميعاً، واستلهم منها تجربته، وطريقة، ومضمون، ماركسيته، فكانت ماركسيته أقرب ما تكون الى الماركسية الماوية في مفهومها ومقولاتها عن حرب الشعب طويلة الأمد، والى الماركسية الفيتنامية في مفهوم «قواعد الارتكاز» أو «هانوي» الفلسطينية، سواء أكان ذلك في الاردن، أو في لبنان، والى الماركسية «الكاستروية» أو «الجيفارية» في مفهومها لفكرة التحوّل الى حزب ماركسي ـ لينيني.

وقد شارك اليسار الفلسطيني معظم تلك الاتجاهات موقفها النقدي للاتحاد السوفياتي «والكتلة الاشتراكية» والاحزاب الشيوعية الموالية لموسكو؛ ورفع معها راية النقد الحادّ للسياسة السوفياتية التي كانت توصف بالمراجعة اليمينية، أو التحريفية، أو البيروقراطية. وقد ضاعف من وزن نقد اليسار الفلسطيني للسوفيات، ومعهم الاحزاب الشيوعية العربية، واقع موقف الاتحاد السوفياتي والاحزاب الشيوعية العربية من الاعتراف باسرائيل والتسوية السياسية في المنطقة.

ويمكن ملاحظة ان الوثائق الاساسية الاولى للشعبية والديمقراطية كانت تغيّب أي ذكر للاتحاد السوفياتي. وفي وثيقة «الاستراتيجية السياسية والتنظيمية» للجبهة الشعبية، وضع الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية كحلفاء محتملين في مؤخرة حلفاء الثورة الفلسطينية، بعد حركات التحرر الوطني في العالم والصين. وقد اعتبرت الجبهة الديمقراطية ان المواقف الخاطئة للاتحاد السوفياتي تجاه القضية الفلسطينية ومسألة وجود اسرائيل ومسألة الحل السلمي وحل الصراع مع الامبريالية سلباً تتنافى مع المبادىء التي تحملها، والتي تنادي بحرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها، وبرفض أشكال القهر كافة، ومن بينها القهر القومي، والتي تحلّل الامبريالية على انها نظام استغلالي معادٍ لحريات الشعوب والجماهير، ولا يمكن قهره الاّ بالكفاح الثوري المسلّح.

وقدّرت الجبهة، تقديراً عالياً، عدداً من الدول الاشتراكية الاخرى، كفيتنام وكوريا الشمالية والصين واليابان وكوبا، تجاه قضية النضال الوطني الفلسطيني، ومسائل التحرر الوطني العربية، والصراع ضد الامبريالية والصهيونية[٣١]. وقد أصدرت الجبهة الديمقراطية بياناً، بمناسبة الاول من أيار (مايو) ١٩٦٩، طالبت فيه القيادة في الاتحاد السوفياتي بـ «ان تراجع الموقف البيروقراطي الستاليني الخاطىء من المسألة الفلسطينية وتتراجع عنه، وان تتخذ موقفاً ماركسياً ـ لينينياً صحيحاً من المسألة الفلسطينية؛ موقفاً أمميّاً بروليتارياً بعيداً من كافة المواقف البيروقراطية والشوفينية ' القومية العنصرية ' ، الموقف القائم على حق كل شعب من الشعوب في تقرير مصيره على أرضه...»[٣٢].

هذا الابتعاد الواضح من السوفيات، ايديولوجياً وسياسياً، لم يكن يعني ان اليسار الفلسطيني كان متماسكاً على لون معيّن، او مدرسة بعينها، من ألوان ومدارس الماركسية الاخرى. فعلى الرغم من اقتراب ماركسية اليسار الفلسطيني، بشكل عام، من الماوية، واستهوائها للماركسية «الجيفارية»، الاّ انها لم تكن تمثّل تياراً ماوياً، او جيفارياً، أو حتى تروتسكياً صرفاً. ولعل بنية ايديولوجية اليسار الفلسطيني، التي اتّسعت لكل تلك التلاوين، وتعاملت معها بصورة انتقائية، لم تكن متماسكة